

٤ (انجاء الى بغداد وزواجه واولاده ووفاته)

ان السيد صالح لم يلم طول عمره في النجف بل صعد الى بغداد في سنة ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) وكان قد تزوج في النجف ابنة استاذة ومعلمه الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المذكور ولما جاء بغداد تزوج ابنة الحاج محمد علي الشهير بالصغار .

وولده ستة بنين وست بنات . اما البنون فهم ١ : السيد مهدي وكان طالماً قاضياً ٢ : السيد راضي وكان شاعراً مجيداً ماهراً بالتهجيس كان اذا تحس قصيدة زاد الاصل حسناً وروفاً وبهاءً بما يحيطه من درر نظمه البديع ولفظه الرائع وقد اعقب ابناً ومم السيد محمود والسيد جواد والسيد احمد وقد توفوا هم وابوهم ٣ : والسيد باقر وقد توفي ٤ السيد حسون ٥ السيد علي وهما حيان يرزقان .

وقد توفي السيد صالح القزويني في بغداد نهار الجمعة بعد الظهر ٥ ربيع الاول من سنة ١٣٠١ هـ (٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٣ م) وكان عمره زهاء ٩٣ سنة ثم نقلت جثته ودفنت في النجف .

قصر محنت نصر [تلو]

وفي وسط هذه الجادة بين القصرين قصر العمال الشرقي وقصر الجنوب الشرقي رتاج (باب عظيم واسع) مردوج يري الى

بومنا هذا وهو محفوظ احسن الحفظ . على ان الذى يستوقف
 طائر بصير الناظر الحار وخطر المتجول الزائر ويشد فيه عواطفه
 العجب العجيب هو نقشان بارزان منقوشان فى الآجر نقشاً
 دقيقاً محكماً متقناً بديعاً رائعاً يأخذ بمجامع القلوب ويسحر
 الالباب ويفتحها فتشاً يرى فى كل نقش من هذين النقيش الرائعين
 نور اوحى وان خرافى كالنور ، لسان حية فضاض ، ومخالبه مخالب
 ببر هزبر ، وذنبه ذنب عقرب شائل ، وعنقه عنق تمساح مراوغ .
 ومن ينظر هذين الحيوانين الغريبيين العجيبين البارزى النقش
 لا يملك عن ان يحكم حكماً صائباً : ان الاقدمين كانوا قد
 امنوا كل الاعيان فى هذه الصناعة ، وقد بلغوا منها اقصى العاية
 واجهد المرمى .

واما الحيطان الخارجية عن هذه الجادة ، فالظاهر من كلام
 المؤرخين انها كانت مزينة باسد من آجر مطلية بطلاء اصفر
 كاللينة (اى القينى او الكاشانى) على ارض (١) بيضاء .

(١) المراد بالارض هنا متساها المجازى . يقال : ارض الشوب
 وغيره : لونه القالب عليه اذا كان معه اللون اخرى ، او بعبارة اخرى :
 هو اللون الاصلى عند وجود اللون الفرعية فيه وهي عربية فصيحة وان كانت
 مرآقية . قال فى التاج : المثال : برد معروف ، ارضه حمراء ، فيها خطوط
 سود . . Fond وهي ايضا : الرقعة ، بالمرية الفصيحة . فاحفظ
 الاقطين لانيك لانجدهما فى المعاجم الفرنسية العربية .

وقبل ان نزرع في قوس البحث ونتعهد القسم الاخير من هذا الصرح المرد وهو أجل قسم فيه ، نغادر هنيةً هذه الاطلال الناطقة بلسانها الاعجم افصح نطق لتعبر الجادة العظمى وزور دوارس هيكل الزهرة ، وهذا الهيكل يشتمل على قنّاء صغير ومقدس ومشكاة (روزنة اوروشن) كان يوضع فيها تمثال هذه المعبودة ، وكان التمثال من الذهب الابريز ، وكان قد عقد عليها قبة من الذهب الخالص ايضاً الا انها لم تكن عالية . هذا ما نقله الينا الرواة وثقات المؤرخين ووجد مسطراً في الرقم المكتشفة في تلك الانحساء . فاذا علمت هذا تصور الآن تالقي تلك القبة الثلاثة حينما تشرق عليها الشمس او قبض عليها حبيب انوارها عند تكبدها السماء في بلاد كبلاد الشرق الرائقة الهواء الشفافة الاثير ، الناعمة الاديم . وفي قصر طوله من اربعمائة الى ستمائة متر في عرض ثلثمائة متر ، وقد تدفقت فيه جميع اعاجيب الكون والطبيعة ، وخرائب الصناعة البديعة ومحاسن الزهو الرائعة السنية

واما مجلد الجنوب الغربي فانه متصل بمجدل الجنوب الشرقى بايئة فخمة ضخمة ، قوراها ضراء ، مقسومة الى ردهات وغرف متعددة ، وهو أجل سائر القصور كلها جماعاً . لانه كان مقام الملك وحاشيته وفي هذا الصرح المرد ، وجدت الردهة الكبيرة ، ردهة العرض ، التي كان يجتمع فيها هذا الطاغية مجلسه العظيم ، ويعقد فيه تلك المقاصد بل المطامع ، التي كان غرض مرماها اخضاع الدنيا كلها

الى سولجانه . فونه الردة هي والفناء الداخلى الذى بين يديها محفوظان احسن الحفظ حتى ان الرأى يستطيع ان يشاهد مشاهدته صادقة الطوايق (الأجر) المفروشة فيهما فوقتنا فى هذا المعهد وقوقاً طويلاً نسرح فيه طائر النظر ، ونطلقه على القرون الماضية الحالية المنقرضة فيذهب ويخلق فى عالم الخيال ، ويستحضر تلك الامم البائدة، من حاضرة وبادية ، ويحييها بلح البصر ، ويبعث فيها ديب الحياة ومظاهرها ، ومحاسنها ومساوئها ويشاهد ما كان يصدر من اعمالها . ثم نعيده الى الايام الحاضرة وهو حاسر قفص ، فينبثنا لسان فصيح عن امور لا يسع ايرادها القلم ، لان ذلك اللسان لسان الفكرة لسان الفم . ومما صورته لنا هذا الطائر الخيالى مشهد الوليمة الشهيرة التى اولها بعلشصر آخر ملوك بابل وبرويها لنا التثريل العزيز بتفاصيل تترك الامور بصورتها وحقيقتها ، بل تجعلك كالك واحد من اولئك المدعوين اليها . ولقد نشر لنا الخيال تلك الحقائق التاريخية من دقائقها اى تشور ، حتى اننا رفعنا اعيننا لننظر الى الحائط الذى كتبت عليه تلك الالفاظ العجيبة ، او الغريبة ، او السرية ، والسحرية ، او المظلمة ، بل الاولى والاصح الالهية اذ خطها انا من يهوه ، فلم نرها ، فكأننا نحن من اهل الغفلة ، لان اهل اليقظة ، ومن اهل الذهول ، لا من متبهي العقول ، وانما فى عالم الخيال ، لا فى عالم المثال .

فبالها من الفاظ ، وما هي الا ثلاثة ادمنا ، قل ، فرس ، .

لكنها من أهول ما كتب في الكتب . ومن أعجب ما دون في
الصحف . ومن أذهل ما تحقق تأويله . كيف لا ومؤوله دانيال
النبي الكبير . فذا زدت على هذا كله ان الموقف هو الموطن الذي
أولت فيه تلك الولاية المفهومة التي عقبها بعد قليل فتح كوروش
لبابل فتحت ان ما تولانا من الحرس واعتقال اللسان والدله مالا
مزيد عليه وان كان الفاصل بيننا وبين اولئك الاقوام البائدة اعوام
مديدة بل عصور عديدة .

ولم نجسر ان نرور في هذا النهار اكثر مما ورننا . خوفاً من ان
يكل غريب لشاطنا ونخورقوا انا . وقد رجنا الى مضيفنا مشى الهزينا ونحن
نذكر في تلك المسالك الضخمة التي ابداها ربك لكبرياتها وغطرسها .
واما منزل القرى فاه مبنى حكايا ابنه هذه
البلاد اي انه عبارة عن دار فيها قنا . تطل عليه جميع القرى
والعالي . وهي واسعة ذات بياض جديرة بساكنيها المهندسين
والتقنين الامانيين . ومن حسانت هذه الدار انها مبنية على عمدة
الفرات . وقد تحول قليلاً عن عقيقه الاول الذي كان عليه في عهد
غضارة بابل . هذا ووجود الاشجار . وتدفق الانهار . ونجواب
الاطبار . في تلك المواطن الساحرة للانظار وللافكار . ذكرتنا
منى اليهود الى هذه الديار . فاخذنا كتاب صلواتنا . وجلسنا
على شط هذا النهر الخليل . واخذنا نتلو ذاك المزمور الذي مسهله :
« على انهار بابل » والذي أنشئ في هذه الارجاء الفناء .

وفي تلك الأثناء كانت الشمس تتحد في الأفق كل الانحدار ،
حتى غابت عن الابصار ، ورآه رمال تلك القفار ، فاجبرتنا جنود
الظلام ، على العودة الى دار اولئك الكرام ، وفي خلال تناولنا
الصام ، اخذنا تتجاذب أطراف الكلام ، ولم تخرج مواضعها كلها عن
امور الحفر والتاريخ ووقائع الايام .

ولما اقبل وقت النوم شعرنا بحاجة عظيمة اليه استجماعاً لقوانا ،
لأننا كنا قد عزمنا على ان نسير على دوابنا ست ساعات لنزور ماهو
واقع على طف الفرات ، وهو ما يظنه البعض (وظنهم قائل)
انه : « برج بابل » ، ونسبته كتب التاريخ : « برج نمرود » ونسبته
العرب منذ سابق العهد الى زماننا هذا : « برس » او « برس نمرود »
وقد ورد ذكره في كتب الفتوحات كما سنذكره بعيد هذا . والراى
الراجع اليوم هو ان هذه الانقاض هي بقايا « هيكل نبو » الذى يتكلم
عنه اشعياء النبي والذى كانت فتخر به بابل .

ومهما يكن من حقيقة الامر فان الليلة كانت طيبة . وما كاد
جيين الصباح الا هميين الا وسمعنا فى جوارنا دوايا مبهاً هو
جعبه الجواريش (١) وكانت النساء فى أثناء الطحن يغنين
غناً شجياً على قنم واحد . وما سمعنا ذلك الا وتذكرنا كلام

(١) الجواريش ، مفرد ما ياروشة او جارش هو رعى اليد ولها اسماء
عديدة فى العربية الفصحى منها : الكبداء ، والفريبة ، والحش ، والحشة ،
ورعى اليد

اشعيا . التي القائل لبنات بابل اللواتي رين في الترف والكسل :
 « لننزل واجلسي على التراب ، ايها البكر بنت بابل ، اجلسي على
 الارض ، فانه لا عرش لك يا بنت الكلدانيين ، ولا تدعين من بعد
 ناعمة مترفة . خذي الرحي واطحنى الدقيق ، اكثفي ثيابك وشمرى
 الذيل (اشعيا . ٤٧ : ١ - ٢) . ومن العجب ان مر على
 كلام الرب قرون وعصور ولم نرم اي كذب ذاك العقاب الذي طاق
 به تلك المدينة العظمى من جراء شعب الله . . كنا نتصور
 عند سماعنا تلك الجمجمة اننا نسمع دائماً ذلك الوعيد يدوي
 في آذاننا ، ولعل تلك النساء كن مولودات في ارض تلك المدينة
 القديمة بابل العظيمة .
 (الاب يوسف نويس الكرمل)

بقايا قصور الخلفاء . في مدينة سامراء .

تابع لافي الجزء الخامس

— • —

١ قصر الخليفة

اذا حزت (بركة السباع) أو (ام البطوط) وانت متوجه
 الى الشمال الغربي ، وقطعت مسافة لا تقل عن ٥٠٠ متر تقف على
 قصر يعرف اليوم عند اهل سامراء (بقصر الخليفة) . والبعض